المشرق

صدقه الخيال

في ثورة البرتغال

للاب لويس برترفال اليسوعي

وردت علينا تترى في الشهرين السابقين انباء البرتغال فتسارعت الى التقافها الجرائد المحليَّة وروتها على علّاتها دون ان تميّز غثّها من سمينها. ثم تبعتها المجلّات ولم تكن اصدق في رواياتها اذ كانت تنقل في الغالب الاخبار « الرسميَّة » التي ينظّفها اصحاب الانقلاب الجديد من كل غبار يشوّه الثورة او يصوّرها على غير صورة الكمال. فآثرنا السكوت ريثما تأتينا الانباء الصادقة وروايات العقلاء المتجرّدين عن كل غرض يعمي البصيرة مع اختلاف مللهم و بلادهم

*

في ٥ من شهر تشرين الاوّل بينما كانت سماء السياسة في البرتغال تلوح صافيةً لا يشوب أديمها سحاب ولا يُشعَر في آفاقها صوتُ عاصف او لمعانُ برق اذ انفجر بركانٌ كان لهُ في القلوب وقعٌ اسوأ من بركان صقلية واهول من زعازع مسينة. ففي ذلك اليوم اصبحت لشبونة عاصمة البلاد ميداناً لحرب اهليَّة لم تكن في الحسبان فان قوماً من ذوي الفتن واعداء السلالة الملكية تآمروا مع بعض قوّاد العساكر ولاسيما البحريَّة ولفيف من غوغاء الناس فتجمهروا وشغبوا وتفاقمت جلبتهم وملأوا المدينة صياحاً وتهديداً ثم تحزّبوا وساروا الى قصر الملك الذي اسرع وولّى كطريدٍ مُبحرًا مع والدته

الملكة اميلي واقارب اهله الى جبل طارق ثمَّ سواحل انكلترَّة وتاركًا في ارض اجداده جثَّتي والده واخيه البكر اللذين ضعَّتهما الثورة عينها قبل سنتين فهُدر دَمُهما

وبينما كان الملك يطلب النجاة بالهرب اغتصب اجلاف الثورة فساروا الى منازل اصحاب الدولة الامناء فقتلوا منهم وساقوا الآخرين الى الحبس حتى غصَّت بهم السجون. وقد رأى اهل الثورة على مألوف عاداتهم اعداء في ارباب الدين لاسيما الرهبان فوثبوا على اديرتهم فسلبوا ونهبوا وقتلوا وحرقوا ولم يخجلوا عن مطاردة الراهبات ملائكة السلام والحنان فهجموا على منازلهنَّ ومستشفياتهنَّ وميانهنَّ كأنهم يفتحون القلاع الحريزة. وما كان لكلّ هؤلاء من ذنب سوى تهذيب الاحداث وخدمة المرضى وتلطيف اوجاع كل البائسين ولم يعرفوا من السياسة غير الامانة لربهم واخلاص الطاعة لوليّ امرهم

قلنا انَّ الثورة الاخيرة لاحت في سرعة البرق وسُمعت زمزمة رعدها عن كثب دون ان يتوقَّع الناس حدوثها والدليل على ذلك انَّ الملك مانويل لم يجد في كل الدول غير الحفاوة وحسن الالتفات فانَّ ملك انكلترَّة كان أسعفهُ الطف عبارات التنشيط وارق التهانئ. ومثلهُ رئيس الجمهوريَّة الفرنسويَّة كان تودَّد اليهِ واحسن استقبالهُ. وكان الجميع يبنون على هذا الملك اطيب الآمال ويرون في شبابهِ داعيًا جديدًا الى استعطاف القلوب وتقريب الاحزاب التي كانت تتنازع البلاد فيترقَّى بهِ الوطن وتتعزَّز شؤونهُ. هذا الى ما عُرفت بهِ الملكة والدتهُ من عظم التُّقى ورقَّة القلب وكثرة المبرَّات التي اكسبت لها محبَّة الرعيَّة كلَّها. فليت شعري أكان يستطيع احد ان يظنَّ بالغد سوءًا او يتوقَّع شرًّا بعد تلك السوابق

هذا ما كان يرتئيه العقلاء. الَّا انَّ العقلاء كثيرًا ما يجهلون ما يجري في الظلمات ولا يحبُّون ان ينسبوا الشرَّ الى غيرهم مهما صدعت الحوادث السابقة بصحَّة الامور وانذرت ارباب السلطة ليأخذوا حذرهم من اهل الدعارة ويقوموا لهم بالمرصاد. كيف لا ودويّ تلك التكبات قد طنَّت لهُ كلُّ الآذان وتزلزلت لزمجرتهِ كل الاركان. مَن لا يذكر ما حلَّ بملكٍ جليل من الخطب الاليم لمَّا اغتصب بعض الاوباش ودُّسوا للملك كارلوس الدسائس اذ كان يسعى في اصلاح دولتهِ وتحسين امورها فقتلوهُ ووليّ عهده ظلمًا وغيلةً في ١ شباط ١٩٠٨ وجرحوا ثاني اولادهِ. ولمَّا اراد اهل القضاء ان يُجروا

التحقيقات ليجازوا الأمة على اعمالهم اتّفق المجرمون مع آل المحاكم ليشوّشوا الامور حتى خاطوا الحابل بالنابل وتخلّصوا من تبعة الجريمة فظهر من ثم انّ المتآمرين كثيرون وان بينهم من ذوي النفوذ والرُّتب العليا . فما كان احرى بالملك مانويل أن يتقي كل هؤلاء الاعداء ولا يثق بهم وعرشهُ لا يزال نديًا من دماء اعزّ اهلهِ فآثر صوت الكرم والغفران . والعجب ممّن لاموهُ لهربهِ من ايدي الثائرين بعد ما رأى من حقدهم ما رأى !

*

ليست الثورة في البرتغال بنت يومها فلا بُدَّ ان نوجّه النظر الى عواملهـا ليقف القرّاء على صدق الخبر ويروا كذب بعض الجرائد الشرقيّة التي علّلتها بغير عللهـا الصحيحة لكي تمرّه على اهل بلادنا ولعلّهـا نقلت دون تروٍّ الانباء الكاذبة التي أشاعها زعماء الثورة وطيّرها البرق عن لسانهم الكاذب وهـذا عندنا وعند كل رجل عاقل لا يعذر رجال الصحافة الذين لا يميّزون الزور من الحقّ اليقين فيبرّرون الأمّـة ويثلمون عرض اصحاب الفضيلة والبرّ المشهود لهم من كل مَن عرفهم حتى من اعدائهم

فاسمع رعاك الله ما سطّرهُ كاتبٌ كنّا نؤمّل منهُ الاعتدال فأتى بما لم يأتِ بهِ غير المتطرّفين . قال صاحب المقتبس :

وقد كان اوّل عمل للجمهوريين طردُ جماعة اليسوعيين من بلادهم واقتضاء الاديار والقضاء على الرهبان والراهبات لانّهم لم ينسوا بعدُ مسعى رجال الدين في مَقتل فرّر وحل الاسبان الحرّ (كذا !) في العام المنصرم قتاره بواسطة الحكومة على ابشع صورة عرفت في عصر النور والمدنيّة (كذا !!) . . . وهكذا أهين رجال الدين ولاسيما اليسوعيّون وطُردوا او كادوا من البرتغال كما طُردوا من فرنسا من قبل وحُرم عليهم دخول سويسرا وتوشك سلطتهم (كذا) ان تتزعزع ايضاً في اسبانيا . . .

فترى من هذا الكلام انصاف الكاتب وفيهِ مصداق انتقاد عقلاء المسلمين لمحرّر المقتبس اذ اخذوا عليهِ غير مرّة قلّة اعتدالهِ . وأبعد منهُ تطرُّفاً مجلّة المقتطف في عددها الاخير (نوفمبر ١٩١٠ ص ١٠٣١) التي انتهز كتبتها فرصة الثورة البرتغاليّة ليحاموا على الرهبان اليسوعيين كأنّهم اسباب هذا الانقلاب وعلل كل الشرّ . فدونك بعض اقوالهم ليعرف القرّاء ما تكنّهُ صدور اصحاب هذه المجلّة التي نوّهنا مرارًا عديدة بآرائهم الفاسدة وبغضهم للدين

ساءت احوال البرتغال وتأخرت . . ورسخ في اذهان شعبها (اي الماسونيين كاصحاب

المقتطف) انّ السبب الاكبر لهذا التأخّر هو من الاسرة الحاكمة ومن انقيادها لخدمة الدين ولاسيما للجزويت منهم (!!.... والكراهة لرهبانات في البرتغال وفي غيرها من البلدان (!!) سببها الاكبر الكراهة للجزويت (كذا) ولا بدع فانّ الجزويت رهبنةٌ عاتية وتخاصُم (بل لها جيوش ومراكب حربيّة كما يروي الماسون) ولا نكتفي بالدفاع مثل غيرها من الرهبنات (فانّا لا نكتفيها بان تصرخ آخ اذا ضربوا الدين بل تكشف دسائس الماسونية وهذا اعظم آثامها)..

وهناك فصل طويل لخّص فيه كاتب المقتطف تاريخ الرهبانيّة اليسوعيّة في البرتغال وضمّنهُ من الاغلاط التاريخيّة ما يزيد عن حروفه ثم ذكر في آخره طرد الجزويت واحتماءهم بدولة الانكليز فعيّرهم لهربهم «من اضطهاد اخوانهم الكاثوليك» ولياذهم ببلاد البروتستانت

ولم يكد الجزويت يخرجون من البرتغال حتى قصد كثيرون منهم بلاد البروتستانت الهراطقة (كذا) لكي يحموا فيها من اضطهاد اخوانهم الكاثوليك (بل من اعدائهم الفرسون) اهل بلادهم (وانت تعلم انّ الماسوني لا وطن لهُ وانّهُ يضحّي الوطن لشيعته) بل انّ ملك البرتغال نفسهُ قصد الاحتماء بالبروتستانت الهراطقة والماسون اللاعين (ما اصدق نعت المقتطف للماسون وكتبهُ من اصحاب البيت!)

وقس على هذه الاقوال غير ذلك من اكاذيب الجرائد التي تتقشع اتقشاع سحابة الصيف بما سيأتي:

قلنا ان للثورة البرتغالية عواملَ سبقتها فمنها قريبة ومنها بعيدة اصحّها واصدقها ما اتفق عليه اوثق المؤرخين ممن لم تُعمِ بصيرتهم الاغراضُ والتشيع للماسونيّة بل اقرّ به الماسون في كتاباتهم السرّيّة زيد به نبذة الكفر والزندقة التي عقد عليها الخناصر اولئك الفلاسفة الكذبة الذين قاموا في اواسط القرن الثامن عشر فزرعوا بتعاليمهم وكتاباتهم بذور الفساد والعصيان على السلطتين الدينيّة والمدنيّة واتخذوا لترويج غاياتهم كل وسائل الغشّ والمكر ووجهوا خصوصاً سهامهم ضدّ الممالك اللاتينيّة التي فيها قامت صروح الدين عاليةً وذُرى السلطة وثيقةً. وكان في مقدّمة هؤلاء المبطلين ذاك الدهريان فلتير وروسو اللذان نعتهما وامثالهما السيد جمال الدين الافغاني «بالوباء المهلك والطاعون الجتاح وآفة الامم واشدّ الاعداء للنوع الانساني» فأفرغوا كنانة الجهد في نشر مبادئهم في كل انحاء اوربة. لكن هؤلاء المبطلين ما لبثوا ان وجدوا في طريقهم الرهبانيّة اليسوعيّة التي كانت وقتئذٍ تتولّى تهذيب الشبيبة في معظم الممالك اللاتينيّة

فرأى الدهريون ان تعاليمهم السقيمة لن تفوز بمرامها ما لم يقبروا اولًا اليسوعيين المدافعين عن اساس الدين والرافعين معهُ لواء العلوم والمدنيَّة فسعوا ليجدوا لهم انصارًا في كل مملكة من الممالك اللاتينيَّة يواطئونهم على اعمالهم . فما كان من ابليس الَّا أن افازهم بالمطلوب فسوَّل لهم رجالًا من ذوي المطامع ممن استهواهم الشر وغلب عليهم الفساد واستولوا بالخداع والبهتان على عقول الملوك فلم يزالوا يدسون لهم السمَّ في الدسم ويصوِّرون اليسوعيين كاعداء السلطان ويخترعون ضروب الشكايات والكتابات المزوَّرة الى ان اقنعوا الملوك بطردهم من ممالكهم

وقد امتاز بين هؤلاء عمالة الاثم وزعماء الكفر وزير ملك البرتغال المركيز دي بمبال . كان اصلهُ من عائلة خاملة الَّا انهُ كان ذا حذق عظيم وعزم شديد فرحل الى انكلترة والمانية واختلط هناك باعداء الدين فاشبعوهُ بغضًا للرهبان تكتمهُ اخفى تحت ستر المراءاة والخداع شواهرهُ السريَّة واخذ يتحبَّب الى اليسوعيين ويبلغ بهِ تملُّقهُ الى ان البس احد ابنائهِ ثوب رهبانيتهم فشكروه عند الملك يوسف الاوَّل واثنوا على تقواه وهمَّته حتَّى اختارهُ وزيرًا لهُ . فما اخذ بمبال بتدبير الامور حتى شعر ما لسيدهِ من ضعف العزيمة والغبن في الرأي والحرص على سلطتهِ والخوف على حياتهِ . فتسلط على عقلهِ واقنعهُ بانَّ اشراف الدولة وجلَّة أُسرها اعداء ملكهِ يريدون ثلَّ عرشهِ فكان يخترع المكايد الخياليَّة فيوجس الملكُ منها فزعًا ويُسلم الى يدي الوزير كل اعدائهِ فيحبس ويقتل ويستصفي الاموال كيفما شاء دون ان يصدر في حقهم حكمٌ شرعي او يُسمح لهم بتزكية نفوسهم . واذ رأى انَّ اليسوعيين لا يوافقونهُ على تلك الفظائع وخاف ان يطلعوا الملك على حقيقة الامر صبَّ عليهم سجال غضبهِ واتَّهمهم بتهم فظيعة لم تخطر على بال احد منهم فاوقفهم جميعاً دون محاكمة في البرتغال ومستعمرات اميركة حيث كانوا يتفانون في خدمة العبيد والهنود وشتَّت شملهم واذاق الاوف منهم ابرح العذابات وكبَّلهم بالحديد فالقاهم في سراديب منتنة حيث قاسوا من الاوجاع مدَّة عشرين سنة ما يأنف عن وصفهِ القلم ويُسيل ذكرهُ من اعيننا العبرات ومات منهم بالحبس العدد العديد ممَّن فضلوا اشدَّ العذابات على الحريَّة بمجد الرهبانيَّة من جملتهم اثنان من ابناء اخوة بمبال . لكنَّ عدل الله ظهر اخيرًا بعد موت الملك وظهرت في الحاكم مظالم الوزير وآثار جورهِ واستبدادهِ فبرروا المظلومين وحكموا على الظالم ولولا رحمة الملكة لمات اسوأ

ميتة . وقد وقع موتهُ بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعية بقليل ومات خاملاً مبغضاً من كل اصحاب الفضل وبقيت رفاتهُ زمناً طويلاً دون دفن فوجدها اليسوعيون بعد قيامة رهبانيتهم في احدى قراني كنيسة اوبراس سنة ١٨٢٩ فلم يلفوا مضطهدهم بل صلّوا عليهِ وخصّصوا اوّل ذبيحة قرّبوها لراحة نفسهِ فكان لفعلهم احسن وقع في نفس پمبال حتى دخل منهم اثنان في رهبانيتنا وكفّرا بتقاهما عن ذنوب جدّهما

تلك صفة پمبال الذي قام ماسون الغرب والشرق في هذه الايام للمدافعة عنهُ وجعلوهُ بمنزلة بطلهم فرّر . وان لم يرضوا بوصفنا لأتيناهم بشهادة لا يمكنهم الردّ عليها ألا وهي شهادة ڤلتير نفسهِ الذي كتب بعد قتل پمبال لرجل الله الاب ملاغريدا وبقية معاملاتهِ لليسوعيين ما تعريبهُ (١) « ان عمل پمبال قد بلغ الغاية في المضحكات والنهاية في المستحيلات كما انهُ وصل الى اقصى الاعمال الهمجية » . فليسمع كتبة المقتطف الذين ادّعوا « ان المركيز پمبال هو اعظم سياسي قام في البرتغال »

ولو سرّحنا النظر في حالة البرتغال رأيناها بعد پمبال قد نزلت عن مقام عزّها الى حضيض الخمول بما جلبهُ عليها هذا الرجل من الاهوال . نعم انهُ حسّن بعض مادّيات بلادهِ وسعى بتحريرها من ربقة الملك الخاونة لها الّا انهُ قسّم قواها في الداخل وذلّل نخوتها واقام فيها الاحزاب المتماكسة التي كانت تمتصّ حياة الدولة بمنازعاتها وبتضحية الخير العمومي لمصالحها الخاصّة

وكان حبل الدين قد انتقض بعد الغاء الرهبانيَّة اليسوعيَّة والضغط على الاكليروس العالي وبُطلان المدارس المذهبيَّة فقامت نشأة جديدة أُشربت منذ حداثتها روح الزندقة والتشكك . وكانت الماسونيَّة خصوصاً ضربت اطنابها في تلك البلاد فنفخت فيها على مألوف عادتها مبادئ الثورة والخلاعة . واذ مُنح الشعبُ الدستورَ سنة ١٨٢٦ تفاقم الصدع واستفحل الشرّ . ولم تتحسّن الامور بعد انتقال الدولة الى أُسرة براغنزا سكس كوبرج سنة ١٨٥٣ فانَّ ساطة ملوك البرتغال كانت لا تزال تُعرقلها دسائسُ الشيع السرّيَّة وتتنازعها الاغراض الشخصيَّة . هذا الى عجز بعضهم عن ضبط ازمّة التدبير

(١) الطف كتابة جيل لويس الخامس عشر في مجموع اعمالهِ L'excès du ridicule et de l'absurdité fut joint à l'excès de l'horreur. (*Précis du Siècle de Louis* XV, t. XXII des Œuvres de Voltaire, p. 35)

وتوانيهم في اصلاح الفساد ونقص المالية العمومية ما جعل الدولة على شفا هاوية

اما الكنيسة في البرتغال فانها كانت اصبحت في حالة حرجة وتضعضعت شؤونها بفساد الزمان فدخل في ذويها الذين لم يتهذبوا على الاصول المرعية روحُ الشقاق والعصيان وغابت على كثيرين منهم الاهواء الباطلة فصاروا عثرةً للمؤمنين بامثالهم وسوء تصرفهم. وكان الكرسي الرسولي لا يألو جهدهُ في انذارهم ودعوتهم الى الإصلاح الا انَّ تنبيهاته كثيرًا ما ذهبت أدراجَ الرياح فسقطت كرامتهم في اعين الناس واضطرُّوا ان يلبسوا في خارج الكنائس لبس العالمين

وكان الكثيرون لا يرون جبرًا لهذا الكسر الا برجوع الرهبان المنفيين من البرتغال فعادوا اليها واجتهدوا في حسم الداء بعد العياء. وكانت الرهبانيَّة اليسوعيَّة في جملة من رجعوا اليها بعد سبعين سنة من حبسهم ومصادرتهم ونفيهم لم يتقدموا على مضطهديهم بل ردُّوا عوض الشرّ خيرًا وتفانَوا لاوامر سيِّدهم. الَّا انَّ اعداء الدين لم يزالوا يتربَّصونهم ويضمرون لهم السوء حتى امكنهم في القرن السابق ان ينفوهم مرَّتين من اوطانهم مع أنَّهم لم يشتغلوا بغير الوعظ والارشاد والتأليف وتهذيب الشبيبة في مدارسهم كجاري عادتهم حيثما حلُّوا. وكانوا يتحاشون كل تداخل في السياسة كما هو مفروض عليهم من قوانينهم بل لم يتقرَّبوا من الأسرة الملكيَّة التي كانت غالبًا تظهر لهم برودةً خوفًا من أن يُنسب لها الانقياد الى آرائهم

ولما تولَّى الملك كرلوس الاوَّل (١٨٨٩—١٩٠٨) نال اليسوعيون قليلًا من الحريَّة فامكنهم ان يوسِّعوا نطاق اعمالهم الخيريَّة ويُباشروا المواعظ والرياضات التقويَّة في المدن والقرى ويدافعوا عن حوزة الدين ويضاعفوا العناية في تربية الناشئة وتخريجهم بالعلوم العصريَّة. وكانوا يديرون مدرسةً كبيرة قريبًا من لشبونة يتقاطر اليها الشبان من كل انحاء البلاد. وكانوا فتحوا رسالةً في مستعمرات البرتغال في جنوبي افريقية لتبشير السودان وميلتم لمدارس لصغارهم. ومع عظم همَّة اليسوعيين البرتغاليين كانوا يذكرون بالاسف اعمال اسلافهم الزاهرة اذ كان عددهم تجاوز عدَّة آلاف وهم اليوم لا يبلغون نصف الالف لا يجدون حولهم عضدًا وسندًا. فكفى بهذا دليلًا على كذب القائلين بانَّ ملوك البرتغال كانوا تحت تدبير اليسوعيين يرتشدون بتعاليمهم. فهذه شكاية ليس فيها ذرَّة من اليقين اخترعها اعداء الدين الذين ينسبون زورًا للجزويت كل المنكرات!

وبقيت سياسة البرتغال الحرقاء في تقهقر وهبوط الى ان بلغت ميزانيتها عجزاً أفقدها كلَّ ثقة لدى الدول. فرأى الملك كرلوس انَّ الحالة تستدعي علاجاً قريباً فشدَّد العزائم وصمَّم النيَّة على ان يرتق الفتق ويصلح الفساد ويعيد للدولة رونقها بضبط المالية والاقتصاد. وساعده على ذلك وزيره فرنكو الذي كان يُعرَف بشدَّة عزمه وثاقب فهمه وكثرة مزاولته للامور فوضع مع حزب المحافظين عدَّة قوانين كان من شأنها تعزيز الدولة واصلاح ما دخل في الادارات من الخلل. لكنَّ اعداء الملك واخصُّهم اصحاب الشيعة الماسونيَّة اخذوا يهيّجون عليه وعلى وزيره الرأيَ العامّ وتواطأوا على قتله غيلةً فكان ما كان بهجوم قوم من الفوضويين على الملك واطلاقهم الرصاص عليه في ضحى غرَّة شباط سنة ١٩٠٨ فقُتل مع الملك وليُّ عهده وجُرح ابنه الثاني مانويل الذي خلف اباه في الملك وولّى فرنكو هاربًا

ولما سعى الملك الجديد مع مجلس القضاة في محاكمة المجرمين للاقتصاص منهم وجدوا في طريقهم من العقبات ما اثبت لهم جليًّا بان الأئمة متعدّدون يستندون الى حزب شديد مرتبط بالماسونية ارتباطاً وثيقًا. فتعدَّدت جلسات المحاكم وطال القال والقيل دون فائدة حتَّى عُفي عن المجرمين وذهب دم الملك وابنه هدرًا. اما الماسون فافتخروا بفوزهم وصرَّحوا بان الانقلاب من اعمالهم. وكان عدد المحافل الماسونيَّة بلغ وقتئذٍ ٢٧٠ محفلًا في البرتغال يرأس شرقها الاعظم الدعوُ مغالاهس ليما (Magal-haes Lima) فكان هذا منذ زمن طويل يكيد للملكيَّة وينوي هبوطها وهو يتردَّد حينًا بعد حين الى فرنسة ليلتقي مع ماسون باريس على قلب الهيئة الحاكمة. وكان في باريس انضمَّ الى محفل كوسوس في كانون الاوَّل سنة ١٩٠٧ وبعد ذلك بقليل قُتل الملك كرلوس فبأمْهُ التهاني اخرتهُ الماسون على نجاح اصحابه. ولمَّا اراد انصاره ان يختاروه موخرًا في مجلس الندوة كبوث لشيونة أبى ذلك وطلب ان يتعين كسفير دولته في باريس معلنًا بانهُ في عاصمة فرنسة يساعدهم احسن في خدمة الجمهوريَّة

كان رجاء الماسونيَّة من مكيدة سنة ١٩٠٨ ان لا تُبقي احدًا من السلالة الملكيَّة فيعلن اصحابها حالًا بالجمهوريَّة الَّا انَّ خلاص الملك مانويل جاء كقذًى في عينهم وكشجًا اعترض في حلقهم فاضطرُّوا الى انتظار فرصة اخرى لتنفيذ مقاصدهم. وقام الملك الشاب بين اهل دولته كموضوع آمالهم الوحيد وفرع دوحتهم السامي. والحقّ يقال انَّ

مانويل وعمرهُ اذ ذاك سبع عشرة سنة كان مجمَّلًا بالاخلاق التي تصلح للملوك من شهامة وعلوّ همة وتقى وحبّ الوطن والرعايا . وكانت اوّل كلمة قالها في مجلس الندوة كافيةً لتكسبهُ كل القلوب لاسيما بعد وزنهِ باهلهِ وحداده : « اني في مقتبل العمر لا علم لي ولا خبرة فهاءنذا ألقي بمقاليد امري بين ايديكم واثقاً بوطنيتكم وحكمتكم »

فما كان أحرى باهل البرتغال ان يسمعوا هذا ويتضافروا على العمل مع ملكهم ليخلّصوا الوطن من اعدائهِ ويعيدوا لهُ عزّهُ السابق وهم ينظرون بقرب ملكهم امَّهُ أميلي ملاك الرحمة والشفقة التي صرفت الملايين من الفرنكات في تشييد الملاجئ والمياتم والمستشفيات حتى انها كانت توزّع كل يوم بيدها مجاناً ما جمعتهُ من الادوية في مستوصف انشأتهُ لجميع المنكوبين

الّا انَّ آفة البرتغال انقسامُ احزابها وتفرّق كلمة اعيانها فما لبثوا ان عادوا الى تزاعهم واختلافاتهم السياسية وتفضيل امورهم الخاصّة على شؤون الدولة . فتشكّلت وزارة دعوها وزارة الائتلاف والتودُّد كان رئيسها الاميرال فريرا دا أمرال واظهر ذوروها ضعفاً وفشلاً . ولما تجدّدت انتخابات المبعوثين قام رئيس جديد لمجلس النوّاب اسمهُ تاكسيرا دي سوزا الذي كان كل همّهِ مصروفاً الى مقاومة اهل الدين والجمعيّات الرهبانية كانها الخطر العظيم المهدّد لبلادهِ بدلًا من استدراك الاخطار المائلة بعرش ملكهِ . ثمَّ فتحوا باباً واسعاً لاعداء الملكيّة اذ منحوا عشرة كراسي جديدة للجمهوريين وكان لهم سابقاً اربعة فقط وعهدوا رئاسة بلديّة لشبونة الى انصار الجمهوريّة مع ما في العاصمة من الفوضويين واصحاب الفتن

وكان الجمهوريّون في اثنا ذلك يستنفدون الوسع في جمع قواهم وتوطيد نفوذهم وينشرون النشرات المهيجة ويقتنصون ضبّاط العساكر ورؤساء البحريّة بمواعيدهم وألطافهم . وكانت الماسونية تبث عيونها في انحاء البلاد وتحثُّ محافلها على العمل وتنفخ روح الثورة بين الفعلة والفوضويين وتوحد كلمتهم حتى رأت ان الوقت قد حان والساعة قد ارفت لنفي السلالة الملكة التي دبّرت الامور في البرتغال مئتين من السنين

وكان الجمهوريون يعلنون بالامر سلفاً . فان الفنسو كوستا احد زعمائهم كتب في جريدة (ماتين) في تاريخ ١ ايلول المنصرم : « لا بدَّ من فوز الجمهوريّة وان اقتضى الامر

استعمال القوة واتخاذ السلاح لن تتأخر وانما نريد ان تكون ثورتنا لطيفةً فنقتل من مقاومينا من لا نرى بُدًّا من قتله » زه ! زه !

وبينما كانت هذه الدسائس تُعَدّ في الخفية والكلُّ واثقون بالسلام والهدوء اذ انقلبت الامور ظهرًا لبطن وعلم العالم المتمدن انَّ لشبونة في صباح ٥ تشرين الاوَّل اضحت ساحة لحرب اهليَّة اسعرها البعوثون الجمهوريون مع زعماء الماسونية والمتحالفين معهم من الضباط والنقابة البحريَّة. وما كان يُعرَف من باعث لهذه الثورة الَّا قتْل بُمبَرْدا احد الدوَّاب المتوغلين في الماسونية قُتل في اليوم السابق بيد احد الضباط الصابين بالجنون - فنسب الماسون ومشايعوهم هذا الامر زورًا الى الملكيين وعرضوا جثَّتهُ امام تمثال الحريَّة واثاروا الشعب وفي اليوم التالي جرت تلك الامور المكدّرة التي سبق لنا الاشارة اليها ويعرف قرَّاؤنا تفاصيلها وبعد أيام اخذوا جثَّة القائد كنديدو دوس ريس (C. dos Reis) الذي كان انتحر فطافوا بها المدينة مع جثة بُمبردا

ومن خواصّ هذه الثورة انَّ اصحابها الماسون جعلوها دينيَّة وسياسيَّة معًا واطلقوا العنان لكل اهواء الغوغاء وسفلة القوم الذين كانوا تشخوا فيهم البُغض للدين واهله باكاذيبهم وتُهَمهم الباطلة - وهذه شواهد لبعض من عاينوا تلك الحوادث الفاجعة من مراسلي الجرائد الانكليزيَّة والفرنسويَّة الذين لا يَعدُون من انصار الكنيسة ولا من الموالين لارباب الدين قد نقلها البشير في اعداده الاخيرة

قال مراسل « الجرنال » في اشبونة في تاريخ ٩ تشرين الاوَّل : « ان الحقيقة تضطرُّني الى الاقرار بان البغض لرجال الدين بلغ في القوم مبلغًا حملهم على اتيان اعمال بربريَّة فكان يُخيَّل لهم ان كلًّا من الاديار الرهبانيَّة حصنٌ ملكيّ حصين توفَّرت فيه الاسلحة والقذائف المدمّرة وانَّ الاديار تتَّصل ببعضها بانفاق عديدة تحت الارض . . . »

وبعد وصفهِ لما جرى من الفظائع في حق ارباب الدين من قتْل وسلب ونهب ختم بقولهِ : « انَّ اعمالًا همجيَّة كهذه لمَّا يؤسف لهُ كل الاسف ويسوّد وجه الجمهوريَّة الجديدة »

واشدّ من هذا لومًا ما كتبهُ مندوب الورننغ پوست البروتستاني : « انَّ الحكومة البرتغاليَّة الجديدة قد قضت على نفسها بالهلاك فقد يمكن ان تمرّ بعض اسابيع او

بعض اشهر قبل ان يوافيها الأجل لكنها ستكون ولا محالة دليلاً جديداً على صدق المثل القائل: "من حاول ازدراد كاهن اختنق ونفق". واضاف الى ذلك ما يُبطل كل الشكاوى والشتائم التي سلق بها البعض ارباب الدين وهو احسن ثناء على الرهبان والراهبات المظلومين واعمالهم الخيرية في البرتغال: "اننا نتمنى لخير الرضى والمقومين ان يوجد من يقوم مقام الرهبان في اعمالهم ومشاريعهم الخيرية خصوصاً في المستشفى الذي انشأهُ الدومنيكان في ستربال للمسلولين وهو عجيبة من عجائب اعمال الرحمة والبرّ ... وقد قرأتُ كل ما يرويه الجمهوريون عن اليسوعيين واحقق لكم اني لو كنتُ من مناهضي البابوية لمدتُ فمشيت تحت لوائها"

وقد ورد علينا عدّة رسائل من آباء رهبانيتنا الذين كانوا في البرتغال ونجوا من ايدي الثائرين وبعضهم فرنسويون واسبانيون وكلهم لسان واحد على وصف ما لحقهم من الاذى والاهانات. فأُطلقت عليهم البنادق وقُتل بعضهم رمياً بالرصاص وافلت بعضهم متكرين فتاهوا في الاقفار دون مأوى ولا طعام. وأُلقي منهم كثيرون في الحبس وعُوملوا معاملة القتلة واللصوص ولم يزالوا الى هذه الساعة يقاسون اصناف الآلام. وعُرض على بعضهم ان يجحدوا الرهبانية فيعودوا الى بيوتهم فآثروا البقاء مع اخوتهم "وهم فرحون كالرسل اذ حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا لاجل اسم يسوع" (اعمال ٥: ٤١)

اما ما أشاع اهل الثورة من أن الرهبان ولاسيما اليسوعيين اتخذوا الاسلحة ورموا القنابل على الشعب وما اشبه ذلك فقد ثبت لكل ذي نظر انهُ من تلفيقات اهل الثورة وترهات المتعصبين على الدين. فانَّ الحكومة الجديدة اسرعت فالغت القانون المسنون ضدّ الفوضويين ثم فتحت سجون المجرمين فاطلقت سراحهم لتبدلهم من الرهبان واهل الصلاح فاراد المجرمون ان يبدوا شكرهم لمن كسر اغلالهم فانضموا الى اصحاب الفوضى وحرقوا ونهبوا وقتلوا مثلهم بل بلغت القحة ببعضهم الى ان دخلوا اديرة الرهبان وكان هؤلاء قد أخلوا منازلهم فجعلوا يرمون القذائف من نوافذ القلالي فيوهمون الشعب بانَّ الرهبان هم الذين يُقدمون على تلك الاعمال بما لديهم من العدد الحربية

وممن نجوا من ايدي اولئك الهمج الاب الفرنسوي اللعازري اسبنوز (M. Espinouze) فوصل الى باريس على آخر رمق بعد ضروب من البلايا والاهوال فاخبر عما شهدهُ من الوحوش في حق رجال الدين وكيف قُتل رئيسهُ الاب باروس غومس

(M. Barros - Gomès) اخو وزير الحربيَّة سابقاً والاب الفرنسوي فراغ (M. Fragues)

قال الاب اسبينوز : ولمَّا رأيت ما احدق بي من الاخطار وما تاليَ من الاهوال سرتُ متنكِّرًا في ساحات لشبونة لكنني ظننت مرارًا عديدة انّي بلغت نهاية الحياة. وكنت ارى الوفًا مؤلفة من الارباش يطفرون كالمجانين منهم الجند واهل الحِرَف والنساء المتهتكات على رؤوسهنَّ القبعات الفريجيَّة (علامة اهل الثورة) وبايديهنَّ البنادق وكل هؤلاء يتعقَّبون آثار بعض الساكنين من الرهبان فيسوقونهم الى مقام ارباب الثورة ويضربونهم على رؤوسهم ثم ادخلوهم في زريبة حيث جمعوا منهم ٣٠٠ واكثروهم يتهدَّدونهم بالقتل اذا ما حاول احد المحافظين القيام في وجه الجمهوريَّة وقد سمعت من الشتائم في حقّهم ما تطنّ له آذاني كما انّي رأيت من سوء المعاملة نحوهم ما ذكَّرني بثورة فرنسة الكبيرة وبأيام الكومون سنة ١٨٧٠ »

وممن حُبسوا من آباء رهبانيَّتنا الاب توران (Torrend) اخو رئيس ديرنا في تعايل فخلَّصهُ من حبسهِ مع غيره من الفرنسويين سفير فرنسة في لشبونة المسيو سان رينه تاليانديه المتصل في بيروت سابقاً . وقد نشر الاب المذكور تفاصيل توقيفهِ وحبسهِ وكان من معلّمي مدرستنا الكبرى في كيرليد ومما روى في رسالتهِ انَّ الآباء اسرعوا الى تسليم اولاد مدرستهم الى اهلهم . ثم فتحوا ابوابهم لاهل الثورة الطالبين بالصراخ الهائل ان يسلّمهم الرهبان مدافعهم . فلما دخلوا وزاروا كل المدرسة لم يجدوا فيها سوى عدَّة من بنادق « الخشب » التي كان الاولاد يتلهَّون بها

واخبر مكاتب جريدة « الجرنال » راسلهُ « نودو » انَّ اولئك الهمج كثيرًا ما كانوا يتعرَّضون لأذى السابلة على حجَّة انهم من رجال الدين . واخبر عن نفسهِ انَّ اهل الثورة ظنّوهُ « بادري » اي يسوعيًّا يحاول تعزيز حامية الأنقاق وانهُ لم يتمكَّن من اقناعهم بالعكس الَّا بعد شقّ النفس . وختم رسالتهُ بقولهِ : « انَّ الحماقة البشريَّة لا يُسبَرُ لها غورٌ »

ويُؤيد شهادة هؤلاء ما روى الاب غراب (P. Grappe) من رهبانيَّة الروح القدس بعد نجاته من الثورة . فانَّهُ رأى الثائرين يتراكضون في لشبونة الى دير اليسوعيين المسمَّى كوالهاس (Quelhas) صارخين : ليمت اليسوعيون القتَّالون . لانَّهم كانوا

سمعوا صوت قنابل أُطلقت من الدير. اما مطلقوها فكانوا بعض اصحاب الفوضى فعلوا ذلك تهييجاً للشعب. لأنَّ رهبان الدير وهم قليلون اكثرهم عَجَزة وكانوا أُوقفوا في اليوم السابق وأُقوا في الحبس »

هذه مآثر الجمهوريَّة وهذه نظائم الرهبان ! فتأمل . وبينا نحن نكتب هذه الاسطر قد خطر على بالنا ما دوَّنهُ التصصيّ الشهير بول فيڤال عن اليسوعيين (وهو يصدق عن كل الرهبان اذ اطلق اهلُ الثورة البرتغاليَّة عليهم جميعاً اسم « الجزويت ») قال: « يا جزويت يا جزويت ! أيها القتَّالون الذين لا تقتلون قطّ وتُقتَلون دائماً . ايها المتغطرسون الذين دائماً تتذلَّلون الى الدقعاء . . . أيها الطاعنون المفترون الذين لا يزال يُفترى عليكم فيقتلونكم الثلب والطعن وتغضون الطرف بل تجازون مضطهديكم خيراً بدلاً من الشرّ . أيها الجزويت انكم لغزٌ لا يُدرَك سرُّهُ ومُشكل لا تُعرَف حقيقتهُ انتم وَرَثة عار الاله المتأنس . ولذلك لا استطيع بان افهم سيرتكم تماماً . . . بلى اني اعرف من امركم ما يكفي ليصيب حبَّة قلبي ويجعلكم لديَّ من اعزّ الاحباب فأفتخر بحبكم واجاهر بودادكم . ولعلّي اكتشفتُ السرّ الذي تصونونهُ ألا وهو حبُّكم لصليب ربِّكم هذا ما اوحاهُ اليَّ صليبي (١ . . . »

وان سألت الآن : ماذا يكون من امر الجمهوريَّة البرتغالية وما ظنُّنا فيها . جوابنا انَّ الشجرة تُعرف من ثمارها وقد ظهرت للعيان اعمال الحكومة الجديدة فانَّها منذ فجرها قد عُرف ما سيكون نهارها فانَّ رئيسها الموقَّت تاوفيل براغا اسرع وقرر طرد الرهبان الاجانب من كل البرتغال والمستعمرات اما الوطنيون فيُقضى عليهم بترك

---

١) هذا بعض قوله بالحرف : Jésuites ! Jésuites ! Jésuites ! assassins qui n'assassinez jamais et qui êtes toujours assassinés ! orgueilleux qui baisez la terre ! . . calomniateurs qui buvez la calomnie, qui l'absorbez sans démenti et qui rendez le bienfait pour l'injure : Jésuites incroyables, Jésuites impossibles ! héritiers de la divine infamie ! je ne vous comprends pas tout-à-fait . . . mais je vous comprends assez pour vous aimer passionément et pour éprouver une fierté peut-être coupable à le crier aussi haut que ma voix peut monter ! Je ne vous demande pas votre fameux secret, je crois le savoir ; mon Crucifix me l'a dit . . . (Paul Féval : *Jésuites* ! p. 243 seqq.)

الرهبانيَّة او بالنفي من الوطن . وكذلك عزمت الحكومة الجديدة على فصل الكنيسة عن الدولة ووجوب استصفاء اموال الرهبانيَّات وابطال كل تعليم ديني والطلاق الاختياري والغاء كل الشرائع الاستثنائيَّة حتَّى الشرائع المسنونة ضدَّ اهل الفوضى ونشرت الراية ذات اللونين الاحمر والاخضر المراد بهما نفي كل دين والتعليم الوضعي وغير ذلك ممَّا حكمت عليه جريدة الديبا بما تمريهُ (اطلب البشير ٢٨ تشرين ١) :

« اذا ما اصرَّ جمهوريُّو برتغال على اثبات خطتهم المعادية للدين يطرحون بلادهم في مهاوي الخراب والدمار وقد رأينا البعض يُسرّون ويغتبطون بما فرط ولا يزال يفرط منهم من الاغلاط العظيمة . فان احدى الصحف الالمانيَّة اخذت تتكلَّم من الآن عن تجزئة المستعمرات البرتغاليَّة وتقسيمها . وبهذا موعظة كافية لمستامي زمام الجمهوريَّة البرتغاليَّة الجديدة » . وقالت جريدة پُست (Post) الالمانيَّة : « انستطيع ان نركن الى البرتغال ونجعل ثقتنا فيها لادارة مستعمراتها الواسعة واهلها لا يمكنهم ان يدبّروا بلادهم وقد ظفرت فيهم الهمجيَّة

ولكن هيهات ان يتعظ هؤلاء الرجال بقوال الحكماء وفي قلوبهم ما فيها من البغض للدين ومعاداة اهله والانقياد الى المبادي الثورية وتعاليم الماسونيَّة . وستأتينا قريباً أصداء الفتن والقلاقل التي تنتظر الجمهوريين . وممَّا سبق يتَّضح للقراء خفَّة كتبة المقتطف والمقتبس وقلَّة تروّيهم في ما كتبوه عن حزازات في النفس وهذا ممَّا يحطّ من منزلة اصحاب المجلات

اما نحن فنوجه في الختام نظرنا الى الملك الطريد والى والدته الماضلة وحاشيتهُ الكريمة ونثني على ما ابداه عند خروجه من مملكته من عواطف الحبّ نحو وطنهِ واحتجاجهِ على الذين خلعوهُ ظلماً عن عرشهِ وهو لم يأتِ حتى الآن بأدنى فعل استوجب عليهِ الملامة لكنهُ يؤمّل انَّ اهل مملكتهِ يعرفون حقوقهُ و يردُّون لهُ ما سلبهُ من ملك اجدادهِ

وقد اختار الملك مانويل انكلترَّة كمقام ينتظر فيهِ ما سيقضي بهِ الدهر لمستقبل وطنهِ وقد لقي هناك قوماً من الرهبان مواطنيهِ الذين التجأوا الى الملجأ عينهِ وكلُّهم مستعدُّون ان يخدموا بلادهم بغيرة وتفانٍ أيَّة ساعةٍ تنفتح امامهم ابوابها

اما المغزى الذي ينبغي ان نستنتجهُ من هذه الحوادث المحزنة فهو ما سبق القديس

اوغستينوس واتسع في بيانه في كتاب مدينة الله فوصف هذا العالم كميدان تجري فيه حربٌ عوان بين مدينتين كبيرتين وهما مدينة الله ومدينة السوء والغش التي يسوسها الروح الشرير. وما ثورة البرتغال سوى دورٍ من هذه الحرب السجال التي تتناوب فيها الحملات فتظفر تارةً هذه وتارةً تلك على انَّ الظفر النهائيَّ سوف يكون بلا شك لمدينة الله بل قل انَّ يد الرب ظافرةٌ في كل واقعة. فانظر حفظك الله ما جرى في هذه المدَّة الاخيرة من تحامل اعداء الكنيسة عليها كالشرائع المسنونة في فرنسة ضد الدين والاكليروس وكمضة الماسونيَّة بسبب قتل فرّر وكدسانس الرئيس كاتالجس ضد الكنيسة في اسبانية وكقرار رئيس بلديَّة رومية اليهوديّ والماسوني كاتان في رومية ضدّ الكرسي الرسولي وكالاعتصابات الفوضويَّة التي تزداد وتنتشر في كل مكان فان كل ذلك كان دليلًا باهرًا على قوَّة الكنيسة التي تضافرت عليها كل اعدائها دون ان يلحقوا بها فشلًا. أفلا ترى رعاك الله ما يجري في مقابلة هذه الغارات من انتعاش الايمان في قلوب كثيرين ومن آيات الحبّ والخضوع لحبر الاحبار ومن رجوع الالوف المؤلفة من غير المؤمنين الى حجر البيعة المقدَّسة. ألا ترى ما جرى في منتريال من المظاهرات الجليلة التي قلّ ما جرى مثلها في اطوار التاريخ فنال السيد المسيح في سرّ قربانه الاقدس اكرامًا ليس له مثيل من نحو مليون من المؤمنين وخُذلت المسونيَّة وانفضحت مكايدها الجهنميَّة. ألا يسوغ لنا بان نصرخ كفرسيا موريتو في ساعة وقع مطعونًا بخنجر الماسون فتردَّدهُ الاسون البرتغال « انَّ الله لا يموت » (Dios no muere)

النارجيل او جوز الهند

للاب انطون رباط اليسوعي

من اغرب الاشجار شأنًا واعجبها امرًا واكثرها فائدة شجر النارجيل (١ او جوز الهند الذي ينمو في البلاد الحارَّة فان الشجرة تشبه النخل طولًا وتفضلها صلابةً فيتخذون منها الاعمدة والجسور للسقوف ويعبرون بها المراكب فتقوى على الماء سنين

١) من الفارسية تاركيل ومنها اشتقّوا التاركيلة لوعاء شرب التنباك